خبئ ديكتاتورك الأحمر ليومك الرمادي

أحمد عمر

ونحن نحاول ملكًا لحقنا بقيصر فوجدنا حفتر. وحفتر جنرال ليبي ومواطن أميركي، اذخرته أميركا منذ ثلاثة عقود في مصارف الرجال والقادة، فازداد سعره وعلا قدره، وجاء أوان استخدامه. وهو متهم بجرائم قتل وإبادة جماعية، مرّتين، مرّة من القذافي، ومرّة من الشعب الليبي. ولم تجدِ قضايا رفعت ضده من مواطنين ليبيين في أميركا، وكان قد استدوع وزارة الدفاع نائبه وترشّح للرئاسة، وسيعود إلى الدفاع مشيرًا إن خانته الحيلة وفشل التزوير، وفاز ابن صاحبه سيف الإسلام القذافي بالرئاسة، الذي انبثق أيضًا من غيهب الغسق، مثل الكوكب الدرّي في الأفق. وكان القذافي الابن مدّخرًا في مكان في الجنوب الليبي، برعاية قوة روسية، فظهر بصورةٍ أجمل من صورة الجنرال الأحمر المُدّخر في الرعاية الأميركية للبوم الأبيض. احترنا بينهما أيهما أكثر زينةً وأخلف للبصر وأسكر للنظر، خليفة بلقاسم حفتر، بزيّه ونياشينه الكثيرة ومشيته الملكية الاستعراضية، وتبختره على السجاجيد الحمراء في عواصم الثورة المضادّة، أم سيف الإسلام القذافي معتمًا بعمامة، في عباءته العربية الفاخرة، مغمورًا بألوان الأضواء، ومعفّرًا بأنوار العقيق والكوارتز، فذكرنا بحبّ والده الأزياء الغريبة التي صممتها له أرقى دور الأزياء العالمية، وهي أزياء مقتبسة من صور الاسكندر، وهنيبعل، وعمر المختار. ثم رأينا الإعلام يحتفي بمدّخرات بشرية رئاسية نسائية مثل رغد صدام حسين ورعاشنة القذافي، ولو كان لزين العابدين بن علي أولاد لظهروا أيضًا وعزّزوا بعد ذلّ النظام. يعتقل آباء المعارضين وأبناءهم، فذنوبهم موزورة ومورثة، أما الطغاة، فأبناؤهم أبرياء لا يرثون ذنوب آبائهم، حتى لو كانوا مضبوطين بالجرم المشهود.

ويبرز اسم أصهار زين العابدين بن علي في تصريح لرشيد عمار، قائد أركان الجيش التونسي، إبّان حكم الرئيس المخلوع، أنّ وزير الدفاع الأسبق رضا قريرة طلب منه إطلاق النار على أصهار بن علي لدى فرارهم من البلد إبّان الثورة. ما هذا العطر الذي يتطيّب به الطغاة حتى تقع الشعوب في حبهم، فينيعثون من الرماد!

يشمّ من تصريح قائد أركان الدفاع التونسي السابق عطران. أولهما أن أصهار زين العابدين مظلومون أبرياء. الثاني أن الثورة شرّيرة. ولم يتهم راشد الغنوشي حتى الآن بتهمة ما مثل التخابر مع «حماس». وفي المشهد الذي ظهر فيه سيف القذافي وهو يوقع على طلب الترشيح والوان ريش الطاووس حوله وفوقه، ظهر وتلا آية قرآنية منقوصة، وزعم أنه لا يفعل بهذا الترشيح إلا خدمة للشعب، وهي خطبةٌ يكرّرها كل الزعماء الفاضلين. لدى أميركا مالٌ كثير، وأجهزةٌ تعرف كيف تدّخر الرجال لساعة العسرة ووقت الشدة، وتضع الخطط لخمسين سنة، ولديها لاعبو احتياط في المباريات السياسية الدولية التي تجري في الخفاء، وهي تكرّم رجالها وتنعّمهم، وكانت قد تحاشت استقبال الشاه الفارسي الهارب من الثورة الإيرانية رضا بهلوي، فاستقبله أنور السادات، نائبًا عنها أحسن نيابة. وكانت الديار المقدّسة منتجًا للطغاة الهاربين من شعوبهم والمحاربين القدماء، عيدي أمين وبن علي وبرويز مشرف وغيرهم كثير. أما الطغاة الثائرون على الظلم في بلادهم، فقد يسقطون في مصيدة الحج، ويسلّمون إلى حكامهم.

قد يوصف عطف حكام الديار المقدسة على الحكام الهاربين المطلوبين أو المنفيين من شعوبهم بالرقة والرحمة، فبين الحكام السابقين عيش وملح، والطيور على أشكالها، وقد يكون ادّخارًا أيضًا.

في المشهد الأخير في فيلم «العطر» المأخوذ من «قصة قاتل» لباتريك زوسكيند، تنقلب الصورة بسحر العطر الذي يبتدعه غروني، ينحني الكونت أنطوان ريتش على قدم قاتل ابنته الوحيدة وفلذة كبده، ويطلب منه الصفح، العطر المسكر الذي يفوح من صور الطغاة السابقين هو عطر الصورة، عطر يسكر العين.

سكّرت أبصارنا.

الأعيب قيس سعيّد... بالكربون يا حبيبي بالكربون

عبد الحكيم حيدر

ما بين ذلك السراب العجيب أسفل مبنى السفارة الفرنسية في تونس (ما أخبار السراب صحيح؟) والاكتشاف المفاجئ لتسمم الرئيس الراحل الباجي السبسي بعد رحيله بثلاث سنوات، ندرك تماماً وببساطة أن الرجل دخل بقوة إلى مسرحيات «كشكش بيه»، بأكبر طاقة جبارة من أساتذة القانون الدستوري التونسي، لسرحة ما بعد الانقلاب، وفقاً للديكتور المصرية في 30/ 6 المجيدة، إلا أن الرجل تعوزه الفطنة والحبكة الدرامية في سجن المعارضين وإسكاتهم، وهو ما تفوقت فيه 30/ 6 بفارق الدراما والبهارات المسرحية وأحدث تقنيات من الغرب، كذلك الصندوق الزجاجي للرئيس الراحل محمد مرسي، أو المصاحف في أيدي علاء وجمال في القفص، أو نومة مبارك في سريره خلف القضبان. أما أن يأتي قضاة قيس سعيّد مرة واحدة، ويحكموا على الرئيس الأسبق المنصف المرزوقي بأربع سنوات، فذلك خطأ درامي، قطع به المخرج المراحل بعبط وتسرّع، وكان عليه أن يمرّ قبلها على المحاكمات المصرية، ويسأل «عرضحالجية زنانيري ومجمع المحاكم في أبو النمرس والتجمع الخامس»، ويمرّ سريعاً على أرشيف المحاكمات المصرية وبهاراتها، وهي بالطبع موجودة في الأرشيف، إلا أن قيس سعيّد، مع سرعة الإخراج وعبط المونتاج، أرادها سريعة ومدهشة ومثيرة، فهدست الطبخة وفاحت رائحتها للعلن، فإذا به يلجأ إلى السمّ، ويبتعد بالمشهد إلى رئيس صار تحت التراب، وتلك حيلةٌ أخرى لن تنطلي، وستضطرّه إلى أن يدخل إلى مختبرات ومعامل وطب شرعي، وهذا بالطبع تلزمه عينات وفحوصات وتحاليل للجثة، وأساتذة متخصّصون في السموم، والطبخة ستكون مكلفة جداً.

وكان يمكن لقيس سعيّد استبدال «السم» بطنين من الديناميت أو قبو بحزب من أحزاب «النهضة» مثلاً، وبأن الأطنان كانت معبئة في رأس السنة لتفجير قصر قرطاج مثلاً، مع إثارة في عرض أطنان الديناميت أمام عيون العالم الحرّ، وخصوصاً فرنسا صاحبة السراب، إلا أن قيس سعيّد دائماً تعوزه الحيل، وواضح أنه لم يستطع أن «يلمّ القضاء في «منديله الدستوري» بعد، وهذا لن يتأتّى له إلا بعد تغيير الدستور، وهذا قد أصبح عسيراً، فإذا به يعود إلى «السم»، والحكام من أيام بني أمية «جنود من عسل»، إلا أن قيس سعيّد دائماً تعوزه الحيل، ويدخل على الدراما من نهاياتها. واضحٌ أنه نسي البلاغة ودخل «قص جحش»، وعلى عجلٍ إلى حيل «العرضحالجية»، من غير تمهيد، وهو أستاذ القانون الدستوري.

لم يُعرف بعد أن من أدبيات «أوطمة الانقلابات» خفّة الدم وخفة المشرط أيضاً، مثل كيف هرب محمد مرسي من السجن بموبايل خاص، وكيف رآه شاهد عيان من أبو النمرس وهو يأكل «المانغو الزبدية»، بجوار السجن وفي يده الموبايل، وحلف الشاهد «بالطلاق ثلاثة» أنه لم يرَ مثل هذا الموبايل من قبل، وأن أمّه حذّرته أنه لو شهد على محمد مرسي بالهروب فسوف يغتاله الإخوان ويحرقون له القمح، فقال لها: «يغور القمح ويغور الشامي بس تفضل مصر»، وبكى أمام القاضي، فذكر وكيل النيابة آية «المفسدون في الأرض»، وكان بجبهة وكيل النيابة صدفة، علامة صلاة في حجم خوخة، وهكذا. إلا أن قيس سعيّد يتسرع دائماً في ديكورات العرض، ولا ينتبه إلى ضرورة الكلب أو النمس في المسرحية، وضرورة وجود «أهل تونس الشرفاء» في المشهد، ومن تتبرّع بخلخال، أو حلق، أو فرن فخّار، ولو من القيروان، أو مصحف قديم من جامع الزيتونة، مع دموع القضاة بجوار الميزان بجوار جثث الأبرياء، مع «أختكم كامليليا» مثلاً، مع قدر هائل من السواطير والسكاكين مع بعض الإخوة السلف، يُقبَض عليهم ليلاً، في محاولةٍ مجنونة للقفز على قصر قرطاج بملايس «فوق بزّة الرجل بشير». ولا مانع من وجود مصاحف، ولا بد من وجود «مواطنين شرفاء» بكثرة على أبواب المحاكم، وبنات ونساء بنظّارات تداري بعدساتها نصف مساحة الوجه، كما كنا نرى اللافتات معهن ودامعات على حسني مبارك، ومبارك قريب منهنّ يهبط من الطائرة على مهل.

فلسطين على أبواب 2022

كمال عبد اللطيف

ودّع الفلسطينيون آخر أشعة شمس سنة 2021، وهم في عزّ فصل الشتاء، احتفلوا بأعياد الميلاد وهم يواصلون معانقة شتائهم الطويل. استقبلوا سنة جديدة بلا أفق سياسي واضح، وما انعس حركات التحرير وفصائل المقاومة عندما تجد نفسها مُنخرطةً في مسلسل لا يحمل أي أفق سياسي واضح، مسلسل بطعم مازق بلا تسوية سياسية ولا مقاومة. تبدأ أيام السنة الجديدة 2022 من دون برنامج عمل قادر على اختراق سقف لعبة السلام المُنهّدة صلاحياتها، لعبة السلام كما تَمّ تسطيرها في برنامج اتفاق المبادئ وإجراءات مواصلة الحوار من أجل السلام مع الكيان الصهيوني الذي لم يَعُد يتردّد في تنفيذ سياساته الرامية إلى مزيد من ترسيخ آليات الاستيطان والضّم، ومواصلة الاعتداء على الفلسطينيين في المدن والقرى الفلسطينية.

يستقبل الفلسطينيون سنة جديدة بلا أفقٍ سياسي مرحلي واضح ومُعلن، تسثمر انقساماتهم في قلب ما تبقّى من الأرض، كما تتواصل أحلام الحكم الذاتي في الضفة والقطاع، على الرغم من أن مشروع الحكم الذاتي أصبح مجرّد حكاية بلا سياق ولا أفق. اختفت منه المفردات التي كانت تمنحه المعنى، ولم يعد أحدٌ يتحدث اليوم عنها، فمن يطرح اليوم سؤال دولة واحدة أم دولتان؟ ومن يستطيع رسم أفق لعودة اللاجئين؟ سُرقت الأرض ويُتِمّ اليوم محو الشعارات التي حملها وتغنّى بها أجيال من الفلسطينيين. يحصل ما ذكرنا تحت أنظار الجميع، يراه الكبار والصغار، كما يراه الأشقاء والأعداء.

من يستطيع الجواب اليوم وسط كل التراجعات والانهيارات المتواصلة في الحاضر العربي والفلسطيني، على سؤال دولة أم دولتان؟ هل ننتظر جواب دولة الكيان الصهيوني وقد انخرطت منذ سنوات في عمليات إتمام إجراءات «صفقة القرن»، بعد إصدارها المراسيم المُقنّنة ليهودية دولة الاحتلال العنصرية؟ أم ننتظر جواب من تبقّى من الفلسطينيين والعرب الفلسطينيين، على الرغم من كل انقساماتهم وصور ذهولهم، ومختلف أهوال الحاضر الوبائية والاستيطانية؟ من يفكر اليوم في السؤال، أو يجهر برفعه في زمن تصاعدت فيه «أحلام التوسع والتنمية والاستقرار»، وقد تغنّى بها الصهاينة مع القوى الاستعمارية العالمية، ووجدوا في أرض العروبة اليوم من أصبح لا يتردّد في إسناد دعواتها وشعاراتها؟

يرتبط سؤال دولة أم دولتان بالتحوّلات التي عرفتها القضية الفلسطينية بعد مؤتمر مدريد 1990، ونعثر على صيغ أخرى له في أدبيات التحرّر الفلسطيني، إلا أن روح السؤال في الصيغ المتداول بها اليوم يرتبط أساساً بشعارات السلام. لكن لماذا يتم اليوم تغييبه؟ هل أصبحت سلطة الحكم الذاتي التابعة وإجراءاتها المجمّدة تشكّل السقف الأعلى لاتفاق المبادئ؟ استعيد، وأنا أعاين التغييب الذي لحق سؤال دولة واحدة أم دولتان، أحوال الفلسطينيين في القدس وفي القرى والمدن الفلسطينية، وأحوال السجناء الفلسطينيين في الأقبية التي بنى الصهاينة. أستعيد، وأنا أوزّع سنة تنصّم وأستقبل أخرى، أشرطة العدوان والاغتصاب والاستيطان والضّمّ وتزوير التاريخ، وأعاين مثل كل الذين عاصروا إنشاء الكيان الفلسطيني، وعايشوا الكيفيات التي تمّ بها تركيب تاريخ جديد بالحديد والنار، حيث استُعملت كل الأساليب لإسكات الفلسطينيين والعرب، ودُفعهم إلى نسيان أوّليات المشروع الوطني الفلسطيني، واتساع ما جدوى السلام؟ وما جدوى اتفاق المبادئ؟ وما جدوى إجراءات الحكم الذاتي، أمام كل الجبروت التي تواصل إسرائيل نشره أمام العالم ليس في فلسطين وحدها، بل في المشرق العربي؟ حيث تواصل تحصيل الدّعم والمساندة من القوى الاستعمارية الداعمة لمخططاتها وسياساتها في وضع القطاع الطبي، وكثافة الأسئلة المتعلقة بالكوارث التي تعصف بالقطاع الصحي بشكل مباشر، أو التي تعصف بالقطاعات المرتبطة به بشكل غير مباشر، مثل القطاعات الضامنة وقطاع التأمين وصولاً إلى قطاع الصيدليات. وبالكلام عن الأخيرة، لا يمكن إغفال أزمة الدواء، لناحية انقطاعه أو توفره بأسعار خيالية، لا سيما أدوية الأمراض المستعصية.

وفوق هذه وتلك، الأزمة الناجمة عن الهجرة والنزيف المستمر للأطباء، وفقدان المجتمع اللبناني أولئك الذين يتمتعون بالكفاءة المطلوبة، وأصحاب الاختصاصات الحرجة، هم وأساتذة التعليم الرسمي والجامعي... إلخ. والقطاع الأخير، التربوي التعليمي، يشي كذلك بأزمات مستفحلة ستواجهه، فقد وصلت سياسات التصدّع التي تمارسها الحكومة تجاه مؤسساتها وأساتذتها في التعليم، سواء التعليم الأساسي أو الثانوي أو الجامعي، إلى حائط مسدود، لأنها لم تعد تسدّ الحد الأدنى من الثغرات المطلوب منها أن تسدّها. ازدياد كلفة العيش، بالشكل الجنوني الذي نشهده، سيحوّل الرواتب وكلّ المساعدات التي يتقاضاها الأساتذة إلى لا شيء، لأنّها لن تكفي لدفع فاتورة اشتراك المولدات الخاصة. بالإضافة إلى أن ارتفاع أسعار المحروقات سيطيح وسائل التدفئة في فصل الشتاء، وسيطيح كذلك إمكانية وصول الأساتذة وموظفي القطاع العام إلى أماكن عملهم، وستكون له تداعيات خطرة جداً على أبسط ضروريات استمرار حياة الدولة الإدارية وانتظامها، وشروط عيش الناس الأساسية.

كل المؤشرات تعني أن سيناريو العام الجديد سيكون أسوأ وبدرجات من العام السابق، فالمعادلة هي: أي تلكؤ في معالجة الأزمات الأساسية سيحولها إلى كوارث لا يمكن تفاديها، ولا يسمح بإمكانية معالجتها بفعالية، فكيف إذا كانت محاولة المعالجة هي حكومات تمثل وجهًا آخر للبلاء؟ فما كان من الممكن تفاديه، أو معالجته، في بداية مرحلة التدهور، تحوّل إلى حالةٍ تعكس انهياراً تاماً ضرب مفاصل الدولة بأكملها.

في جميع الأحوال، ونظراً إلى التجربة، ونظراً إلى اليقين بعدم إمكانية أي علاج في ظلّ ذهنية قوى السلطة القائمة والمستمرّة، ونظراً إلى بقائها واستمرارها كقوى في قلب السلطة، يبدو سياق الأمور قاتماً جداً، ويبدو أنّ سنة صعبة جداً ستمرّ على اللبنانيين وعلى المقيمين في لبنان... فلنتشبث.

(كاتب لبناني)

لبنان العام الجديد

ياسل. ف. صالح

هلّ العام الجديد على لبنان، فسجّل في يومه الأول ارتفاعاً ملحوظاً في سعر صرف الدولار مقابل الليرة اللبنانية بلغ حوالي ثمانمائة ليرة لبنانية في يوم واحد، فوصل إلى 28,300 ليرة مقابل الدولار، في حين أنه أغلق العام الماضي على مبلغ لا يتخطى 27,500، ما يؤكد على أنّ تراكم تبدل سعر صرف الدولار لم يعد وفق متوالية حسابية تراكمية Arithmetic progression، بل وفق متوالية هندسية تضاعفية Geometric progression تشي بأنّ فقدان الليرة اللبنانية، والروابط الرسمية المرتبطة بها، قيمتها وقدرتها الشرائية، سيكون حديث الساعة في المقبل من الأيام.

أما الحادثة الثانية التي وقعت في اليومين الأخيرين من العام الفائت، فليست جديدة تماماً، بل تؤكد على البقاء رهن المسار السابق إياه، أعني حادثة توقيف شحنة مخدّر الكبتاغون التي كانت متجهة إلى دول الخليج، ما سيعيد فتح ملفات غير مختومة بعد، وخلط أوراق لم تعالج حتى اللحظة، كلها تتمحور حول مقاطعة دول الخليج لبنان، وعلاقاته المزومة بها جزاء ممارسات حزب الله، وانعكاس هذه الأزمة على المستوى اللبناني الداخلي المنهار سلفاً، مع ما يعنيه من زيادة مازق نجيب ميقاتي، ومازق حكومته التي تقع في دائرة نفوذ المحور الإيراني بشكلٍ علني، ناهيك عن إعادة فتح ملف عدم قدرة الدولة اللبنانية على تحمّلها، والتي تقع ضمن سيطرة الحزب، على ضبط الحزب وردعه، وقد بات اسمه مرتبطاً بهذا الملف، وهذا من المطالب الأساسية التي تشترطها الدول الخليجية لبداية التفكير في إعادة عقارب الساعة إلى الخلف، وذلك كي يعاد التفكير في إمكانية وضع الأزمة على سكة المعالجة الممكنة. فوق هذا وتلك، لا يمكن إغفال تصاعد عمليات السلب والجريمة وحالات الانتحار التي تضرب عميقاً في المجتمع اللبناني، والتي تطرح أسئلة محورية وضرورية عديدة على الأجهزة الأمنية وعلى المواطنين الخائفين على حياتهم وعلى أمنهم الشخصي، ما يضيء على مشكلات ستتضاعف في الأيام المقبلة كذلك، نظراً إلى العلاقة الجدلية التي تربطها، أعني علاقة الانعكاس الطردي بين تزايد نسبة الفقر والعوز والبطالة من جهة وتفشي وتصاعد أعمال الجريمة من جهة أخرى.

هذا من دون أن ننسى مدى حراجة الأزمات الأساسية التي ستواجه قطاع الاتصالات، والخوف على تأثر جودتها وصولاً إلى إمكانية فقدانها، بالإضافة إلى تأثرها جرّاء الانقطاع المستمر للتيار الكهربائي وفقدان مواد المازوت والفيول الضرورية لتشغيلها وتشغيل معدّاتها، وما سيخلّفه من تداعيات خطرة بسبب انفصال قطاعات أساسية عن الشبكات العالمية، وبالتالي تدهورها بأشكال مختلفة تبدأ بشكل جزئي وقد تصل إلى حد الانهيار.

كلّ هذا في ظلّ كلام عن توجّه آلاف المتاجر، التي ما زالت تصارع، نحو إغلاق أبوابها، ما سينعكس في تزايد أعداد المعطلين عن العمل، وازدياد نسب البطالة، بالإضافة إلى ازدياد نسبة الذين سيعيشون تحت خط الفقر بسبب فقدان مصادر رزقهم، وتراكم (وازدياد) الانحلال الذي سيواجهه المجتمع في الأشهر المقبلة، وسيؤدّي إلى تغوّل هيمنة قوى النظام على مناطقها خارج أي شريعة أو قانون، بل استغلال الناس في حاجياتها الضرورية للعيش، وإمكانية ترجمة هذا إلى الاستغلال بقلب نتائج الانتخابات النيابية، وبكرّس المزيد في الهيمنة عبر كثافة الأعمال الميليشياوية في المجتمعات المحلية.

هذه لمحة سريعة على مشكلات أساسية ستواجهه المجتمع اللبناني والدولة اللبنانية في الأيام المقبلة، والتي لا تنفع معها سياسات التذاكي والتنصّل من المسؤولية التي تمارسها قوى السلطة تاريخيًا، والتي لم تعد تنطلي على أحد، على سبيل تراشق الاتهامات وتقاذف المسؤوليات، بل إنّ ماساوية الحال تعني، في ما تعنيه، أن هناك حاجة ملحّة للمعالجة، ليس بإمكان القوى التي كانت سببها القيام بها.

الانهيار سيد الموقف، لأنّ استبدال النار بالرمضاء ليس حلاً، وهذا بالتحديد ما لا يريد أن يلتفت إليه المجتمع الدولي الذي سيبقينا في المازق نفسه تمسّكه بمحاولات إعادة إنتاج النظام، بأشكال مختلفة. أولاً، عبر المحافظة على حكومة مثل الحكومة الحالية، حكومة السلطة، وثانيًا، من خلال إسناده إلى هذه الحكومة مهمة الإشراف على الانتخابات النيابية. إذ مهما كانت نتائج الانتخابات، ووفق أي قانون، سيكون مطعونا فيها سلفاً، وخصوصاً في الدوائر اللبنانيين المريدة مع فساد قوى السلطة وتزويرها وترهيبها وترغيبها لا يمكن غضّ الطرف عنه بسهولة.

كل المؤشرات تعني أن سيناريو العام الجديد سيكون أسوأ وبدرجات من العام السابق، فالمعادلة هي: أي تلكؤ في معالجة الأزمات الأساسية سيحولها إلى كوارث لا يمكن تفاديها، ولا يسمح بإمكانية معالجتها بفعالية، فكيف إذا كانت محاولة المعالجة هي حكومات تمثل وجهًا آخر للبلاء؟ فما كان من الممكن تفاديه، أو معالجته، في بداية مرحلة التدهور، تحوّل إلى حالةٍ تعكس انهياراً تاماً ضرب مفاصل الدولة بأكملها.

في جميع الأحوال، ونظراً إلى التجربة، ونظراً إلى اليقين بعدم إمكانية أي علاج في ظلّ ذهنية قوى السلطة القائمة والمستمرّة، ونظراً إلى بقائها واستمرارها كقوى في قلب السلطة، يبدو سياق الأمور قاتماً جداً، ويبدو أنّ سنة صعبة جداً ستمرّ على اللبنانيين وعلى المقيمين في لبنان... فلنتشبث.

(كاتب لبناني)

وصل سعر صرف الدولار الواحد إلى 30 ألف ليرة (حسام شبارو/الأناضول)

إيران تخدم مشروع التطبيع في العراق

ياسر أبو هلالة

لم تتعلم إيران من درس الحرب الأهلية في لبنان، فالمظلومية والتهميش والإقصاء سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لطائفةٍ بدفعها إلى أحضان العدو. حصل هذا مع الشيعة في جنوب لبنان، عندما استقبلوا قوات الاحتلال الإسرائيلي بالأرز والزغاريد، بعد أن ذاقوا المرّ من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وعانوا من التهميش والحرمان منذ استقلال لبنان. في المقابل، حاولت المارونية السياسية التحالف مع إسرائيل حفاظا على مكتسباتها التي هدّدتها الحركة الوطنية اللبنانية. ولم يكن مستغربا أن قوام جيش لبنان الجنوبي شيعة ومسيحيون. وفي تلك الأثناء، كان الأكراد السنة في العراق يتحالفون مع الصهاينة لمواجهة مظالم نظام البعث... لا يرتبط الموقف من الصهيونية بالطائفة أو الدين، فثمّة يهود يعادون الصهيونية، ومسلمون سنة وشيعة ومسيحيون صهاينة. والاستقطاب الطائفي يخدم مشروع التطبيع، ويمكّن للصهيونية في العالم العربي. ما حصل مع شيعة لبنان تحاول إسرائيل تكراره مع سنة العراق.

في مقالته «السياسة الخارجية لإسرائيل: الفرص والتهديدات»، كتب داني سيرتينوفيتش «أهم دولة في مشروع التطبيع هي العراق. كانت المفاوضات مع المسؤولين في كردستان مباشرة للغاية. وأعلن مسؤولون عراقيون كبار في بغداد بشكل غير رسمي عن استعدادهم للتعاون، بل طلبوا من المسؤولين الإسرائيليين المساعدة في تغيير الرأي العام في العراق. في اجتماع غير رسمي في الأردن مع مسؤولين في وزارة الخارجية الإسرائيلية، قدّم رئيس مجلس النواب العراقي خطة جيدة للغاية لتطبيع العلاقات مع إسرائيل، وقد تم تنفيذ مرحلتها الأولى، ولكن مع الانتخابات الأخيرة، توقفت متابعة تنفيذ هذه الخطة».

يبني الكاتب، وهو كبير باحثين في معهد السياسات والاستراتيجيات الإسرائيلي، وكان في معهد آبا إيبان للدبلوماسية الدولية في إسرائيل، وخدم ضابطا في الجيش الإسرائيلي 25 سنة في مواقع مختلفة في الاستخبارات، آمالا عريضة على برنامج التطبيع مع العراق، ويرى إن «فكرة نقل الفلسطينيين إلى غرب العراق ما زالت معقولة وقابلة للمتابعة. إذا ما تولى المتحالفون مع إسرائيل في العراق مسؤوليات عليا. وقد أعطت هذه المرحلة، خصوصاً بعد أن نجحت هذه الحكومة، نسبياً، في فك العزلة الدولية عن السودان برفع اسمه من قائمة الدول الداعمة للإرهاب وإعادة جدولة ديونه الخارجية. ومن ثمّ، استغلوا مكامن الضعف في أدائها، ومن ذلك تغذية الخلافات داخل تحالف قوى الحرية والتغيير، وعرقلة حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها السودانيون، والاستقواء بالقوى الإقليمية المناهضة للديمقراطية، وذلك كله في مسعى لإجهاض تشكّل جبهة مدنية واسعة قادرة على التصدّي لمطامعهم في السلطة والثروة. وقد نجحوا في ذلك بتقليص القاعدة الاجتماعية والسياسية التي استند إليها حمدوك، إذ رأى كثيرون في عودته إلى رئاسة الحكومة الانتقالية، بموجب اتفاق 22 نوفمبر/ تشرين الثاني المنصرم، قفزة في الفراغ وانتحاراً سياسياً وشرعنة للانقلاب الذي قاده الجيش في أكتوبر/ تشرين الأول.

وبالتوازي مع هذا الاتفاق، الذي لقي رفضاً شعبياً واسعاً، لم تكن قضايا إصلاح أجهزة الجيش والأمن والقضاء والإدارة، ووضع سياسة ناجعة للعدالة الانتقالية والإفلات من العقاب في مقدمة أولويات حكومة حمدوك، على غرار ما نجده في التجارب المقارنة للتحوّل الديموقراطي، هذا في وقت لم يتوقف العسكر عن تعزيز تحالفاتهم الإقليمية واستثمار دعم محور الثورة المضادّة في المنطقة، مستغلين إخفاق الموجة الثانية من ثورات الربيع العربي في الجزائر ولبنان والعراق.

السودان... ماذا بعد استقالة حمدوك؟

محمد أحمد بنّيس

دخل المسار الانتقالي في السودان منعطفاً جديداً بعد استقالة رئيس الوزراء عبد الله حمدوك. وتضع هذه الاستقالة المجلس العسكري في ورطة كبيرة وتُربك حساباته، في ظل تصاعد وتيرة الحراك الشعبي المناهض لسيطرة الجيش على مختلف مفاصل الدولة.

كشف حمدوك، في خطاب استقالته، الأسباب التي حالت دون نجاح المرحلة الانتقالية، وتتمثل بالأساس بما أسماه «الشتات داخل القوى السياسية والصراعات العدمية بين مكونات الانتقال»، ما يعني تحميلَ المسؤولية، من جهة، للمجلس العسكري الذي لم ينخرط في شراكةٍ سياسيةٍ تحقق تطلعات الشعب السوداني في الاستقرار والتنمية والديموقراطية، ومن جهةٍ أخرى للقوى السياسية المنقسمة التي أخفقت في إفراز قيادةٍ متوافق عليها، مُفسحةً المجال للجان المقاومة التي باتت تقود الحراك الشعبي.

تحوّل لجان المقاومة إلى رقم أساسي في المشهد السوداني لا يضيق الخناق، فقط، على المجلس العسكري، بل يُنذر، أيضاً، بتفكيك ما بقي من نظام عمر البشير، الذي لم يكن الانقلاب عليه في 11 إبريل/ نيسان 2019، إلا مناورة مدروسة من العسكر للالتفاف على مطالب الحراك الذي انطلقت شرارته الأولى في 19 ديسمبر/ كانون الأول 2018. وطوال السنتين، اللتين قضاهما حمدوك رئيساً للحكومة الانتقالية، لم تتوقف محاولات المجلس العسكري للاستفراد بالقرار السياسي، سواء تعلق الأمر بالسياسة الداخلية أو السياسة الخارجية التي سعى لجعلها في خدمة التطلعات السلطوية لقادته. وفي مقدمتهم عبد الفتاح البرهان ومحمد حمدان حميدتي اللذين لعبا دوراً كبيراً في هندسة اتفاق التطبيع مع الكيان الصهيوني.

كان العسكر يدركون أن نجاح المرحلة الانتقالية، بقدر ما يساعد على بناء تعاقد سياسي ومجتمعي جديد، ينطوي، كذلك، على مخاطر إقصائهم من المشهد السياسي في ظل نجاح حكومة حمدوك في التوصل إلى اتفاقات سلام مع بعض الحركات المتمرّدة، بما يعنيه ذلك من تحسين الموقع التفاوضي للمكون المدني مع نهاية هذه المرحلة، خصوصاً بعد أن نجحت هذه الحكومة، نسبياً، في فك العزلة الدولية عن السودان برفع اسمه من قائمة الدول الداعمة للإرهاب وإعادة جدولة ديونه الخارجية. السني، بمساعدة الإمارات وتوجيهاتها، سيخلق قوة كبيرة لإسرائيل في العراق. الحزب الديمقراطي الكردستاني وحركة التقدّم كلاهما من حلفاء إسرائيل، لكن الاتحاد الوطني الكردستاني وخميس الخنجر هما المشكلتان الرئيسيتان داخل المجتمعين السني والكردي في العراق. وإذا ما أجبر الخنجر من خلال الأصدقاء في أوروبا، فضلاً عن قطر وتركيا، على الامتثال لمحمد الحلبوسي، وتسليم الرئاسة العراقية للحزب الديمقراطي الكردستاني، وأيضاً الإبقاء، على الحلبوسي رئيسا لمجلس النواب، فان قسما كبيرا من مشكلات إسرائيل في العراق سيحل».

يغيب عن الكاتب إن العقبات أمام التطبيع أعقد بكثير من موقف خميس الخنجر، أبرز قادة السنة وزعيم تحالف عزم الذي يشكل بيضة قبان في تركيبة مجلس النواب العراقي، فالزعيم الشيعي مقتدى الصدر الذي تصدّر أكثرية المقاعد، ويتوقع أن يشكّل تحالفه مع القوى السنية الحكومة المزمعة، والذي يعدّ بعيدا عن النفوذ الإيراني، وتمكّن من التغلب على حلفائها في الانتخابات، يتخذ موقفا جذريا من التطبيع، أكثر حدّة ووضوحا من جماعة إيران، فهو طالب باعتقال من شاركوا في مؤتمر التطبيع في أربيل، ووصفهم بالإرهابيين والقذرين، وقال إن «التطبيع ممنوع ولن نسمح به ولو على دمائنا». وهو للتاريخ أعلن بعد استشهاد الشيخ أحمد ياسين في 2004 إنه يعتبر نفسه ذراعا لحماس في العراق. في المقابل، نجد أن مصطفى الكاظمي، وهو حليف محتمل للصدر، متحمّس، ولو سرّا، للتطبيع، ومتفق مع برنامج أحد عرّابي التطبيع في المنطقة، جمال دانيال الذي كان يعمل معه في موقع المونيتور، والساعي إلى تأهيل نظام الأسد من خلال تطبيع موسّع تدخل في العراق وسورية.

محنة الإسلاميين وحزام الرعب

حلمي الأسمر

بعيدا عن أخطاء فاحشة ارتكبها الإسلاميون، خلال العقدين الماضيين تحديدا، بعد أن خاضوا معركة الاشتباك في الحياة السياسية، بدا كثيرون ممن يشتغلون بالمشروع الإسلامي في الحكم يعتقدون أنه مشروع ولّى بلا رجعة، ويسحب آخرون أن الفاشية التي جرى فيها قمعه في مصر، (وتبعتها أقطار عربية أخرى، سال لعابها بعد «النجاح المصري» للاحقة كل ما يمتّ لهذا المشروع بصلة) كفيلةٌ بدفنه إلى الأبد. هؤلاء لا يقرأون التاريخ، ولا يستخلصون العبر من تجارب مشابهة، وقعت في تونس وتركيا، وفي مصر ذاتها، حين قرّرت السلطات في هذه البلدان «استئصال» الإسلاميين من جذورهم، أو هكذا توهمت، فنظّمت عملية إبادة لكل ما هو إسلامي، حتى وصل الأمر إلى منع الأذان باللغة العربية ومنع النساء من وضع غطاء الرأس، كما فعل أتاتوركيا وأتباعه في تركيا وعلمانيوها. وفي تونس، حاول الديكتاتور بن علي استئصال كل ما يمتّ للمشروع الإسلامي بصلة، بل حُرم المسلمون من فقه الأحوال الشخصية، وعبثت السلطة بما استقرّ عليه الشرع، وفتحت أبواب الفجور والدعارة والسياحة الإباحية على مصراعيها، وهيئ لمن على أن الدولة غدت في جيبه الصغير، فكأن هو نفسه «الضحية» الأولى لديكتاتوريته الخشنة، بل كان سقوطه مفتتحا لسقوط آخرين على شاكلته. وكذا هو الأمر مع عبد الناصر، مارس الدور ذاته في قمع الإسلاميين وإبادتهم، فكان «مُلهما» لكثيرين في تغييب أصحاب المشروع الإسلامي، ليتبين لهم أن هذا المشروع لا يموت، ولن يموت، ليس لأن الإسلاميين عباقرة وعمالقة ويستعصون على الإبادة، بل لأن الإسلام هو المكوّن الرئيس للعقل الجمعي والوجداني لأهل هذه المنطقة، وما تجربة انقلابيي تركيا بعيدة، ففيها ما فيها من عبر لكل من يتبنّى خيار الاستئصال والتغييب لأصحاب هذا المشروع. ولستُ نشكّ لحظة أن مشروع الانقلاب في مصر سيجد المصير الذي لقيه بن علي وأتاتورك وعبد الناصر، لأنهم تحرّكوا عكس حركة التاريخ، وغفلوا عن بدهية بسيطة، إن الإسلام هو ملح هذه الأرض، حضارة وثقافة، حاضرا ومستقبلا، وإن بدا أن مشروع الإسلاميين قد بلغ القاع في انتكاسته.

ليس هذا انحيازا لمفصيل إسلامي معين، أو تغليبا لرؤية مقابل أخرى، فلا يبغي الكاتب هنا الدفاع عن جماعة الإخوان المسلمين تحديدا، وإنْ يكونون يستحقون ذلك، أو أنه يدافع عن أخطاء وقعوا فيها، هم وغيرهم من الجماعات الإسلامية، سلفية علمية أو جهادية، أو حزب

نكرّم العربية في عيدها ونفرِّط بها بقية السنة

دلال البزري

يحلّ يوم اللغة العربية العالمي، فتنهال التبريكات. ولا تبقَى فضيلة إلا وتُلصق بها: الدقة، الجمال، الخلود، الثراء، المنطق، الدين... وقد يستمر «اليوم العالمي» أياماً. وبعد ذلك، تعود العربية إلى حظيرة اليوميات التعيسة، تتلقى صفعات الازدراء. في اليوميات أقول: وإليك الأمثلة الأكثر شيوعاً:

- الذي يتكلم العربية وكأنها ليست لغته الأم، كأنه لا يعرفها تماماً، يتوقف برهة، ويشرد أحياناً، لينطق بالكلمة الأجنبية التي «وجدها...!»، فيرتاح كالمنتصر حضارياً على من يُفترض أنه يستمع إليه. وهذا المتفوِّه بـ«الأجنبي» ممكن أن تجده في أي مكان، في الإعلام، في البرامج الحوارية أو المقابلات، مع السياسيين، الوزراء والنواب. لدى المواطن البسيط وغير البسيط، في الأماكن العامة المختلفة، عند الباعة، في المطاعم والمقاهي والمراقص والاحتفالات... كلٌّ يحاول إدخال كلمات فرنسية، وغالباً إنكليزية على حديثه بالعربية، فيرفع درجة بالانبهار به، ويزيد رأسماله الرمزي. إنها عقدة النقص لدى أصحاب اللسان العربي.

- ذلك أنه أصبح من العادات غير المعلنة أن تتباهى بعدم معرفتك العربية جيداً. هذا وسامٌ تعلّقه على صدرك. وتشحذ عليه مكانة أو وظيفة. هو دليل على أنك خريج مدرسة أو جامعة معتبرة، أهملت العربية و«ركّزت» على الأجنبية. ولا يؤاخذ أصحاب هذه الخصلة كثيراً، إذ دأبت مدارسهم المكْلفة، منذ الصِّغر، على معاقبة من يتكلم العربية في باحاتها، وبين أروقتها. عقدة النقص إياها.

- ومن طرائف هذه الخصلة التي صارت أشبه بالتقاليد: مناقشة أطروحة دكتورة، في الجامعة اللبنانية، «الوطنية»، بلغتها الرسمية، أي العربية. مداخلة أحد الدكاترة المناقشين تتخلّلها مفردات فرنسية، تليها ترجمتها بالعربية على يد الدكتور نفسه. وهذا كرمٌ منه، هدية خاصة «لمن لم يفهمها باللغة الأجنبية». ولكن في الغالبية العظمى من الأحيان، تكون المفردة الفرنسية غير مطابقة للعربية! ترجمة فالْصو! ماذا أراد هذا الدكتور أن يقول لهذا الجمع المحتشد المدعو إلى حضور مناقشة الأطروحة؟ من أنه أعلى كعبة مما قد يعتقده بعضكم. أنا أعرف الفرنسية أيضاً، وباللكنة الباريسية المحبّبة. عقدة نقص أيضاً وأيضاً.

ثمّة درجات أخرى من عقدة النقص هذه. أو بالأحرى تجليات لها. منها مثلاً أنك، مهما بحثتَ واستفسرتَ، فلن تجد إلا صنفَين من الكتب المخصّصة للأطفال بالعربية: الأول مترجم، غالباً ترجمة ثقيلة. والثاني مواعظ دينية أو عقيدية. والنادر من بين هذه الكتب، أي الأصيل، المبدع، الحيوي، المشوِّق... فهو نادر، مغمور. اكتشفتُ هذه «الثغرة» وأنا أبحث عن قصص عربية لأحفادي، لأشجّعهم على القراءة بالعربية، فلم أجد غير كتب حسن عبد الله وفاطمة شرف الدين. وهي غير ذائعة. مثلٌ آخر: الإجماع على أن الروايات الأجنبية المترجمة إلى العربية أكثر جاذبيةً من الروايات العربية. والسبب، حسب النقاد المعنيين بالظاهرة، أن اللغة العربية لا تبدع، لا تحرّك سكوناً، لا تسلّي، بصرف النظر عن القيمة العليا التي يعامَل بها الروائي الأجنبي سلفاً، أو حتى أحياناً من دون أي نقد حقيقي. أو استناداً إلى نقد أجنبي أيضاً، يتبناه «الناقد» العربي. حسناً، إذا كانت اللغة العربية وكتابها ميتين إلى هذه الدرجة ومفرداتهم لا تستجيب لتجارب وعوالم جديدة. هل وجد المترجم في طريقه الكلمات العربية المطابقة؟ من أين سيجدها، هي والنص الأصلي مستوحى من تجارب لغوية غنية؟ فيما لغتنا العربية، المتْرجم إليها لا تستحق، قاحلة هي، فقيرة؟ وأدبائها ناقصون؟. هي «النرجسية المجروحة» التي يتكلم عنها محللو نفسيات العرب المعاصرين. كانوا أمة عظيمة، وصاروا الآن خلف معظم الأمم.

وبعض الكتاب الكبار الثائرين على مواتها، «يحيونها» بمفرداتٍ قديمة معقدة، وبجمل طويلة مفتعلة متأنّقة، وحشد من الطوطمات (جمع طوطم) اللغوية، تصيبكَ قراءتها بالصداع. بقليل من الفائدة والمتعة. فيما بعضهم الآخر يشيّئ اللغة، يعاملها كشيء، كجَماد، فيأخذها على ما يعتريها من هزال، ويتكاسل في رفدها بما تحتاجه من ماء وظلال. وإلى ما هنالك من وقائع لغوية، أبطالها معنيون بها أكثر من غيرهم من المواطنين المنْكبّين على ثقافة مواقع التواصل. أضف إلى ذلك بروز اللغات المحْكية في كل قُطر عربي بعينه. ما يضرّ بوحدة اللغة وبإمكانية أن يتفاهم العرب شفهياً ونحوياً بعد عقد أو عقدين من تطوّر هذه اللهجات الداخلية وتحولها إلى لغة ربما أكثر من محكية، ولكن خطر العامية يشعل شمْعة، وربما أكثر:

هي كتابات الشباب العرب، آراء، تحليلات، روايات وأشعار. أقول «شباب»، وأعني الجيل «الروحي»، إذا جاز التعبير. الذي يجمع في صفوفه غالبيةً من الشباب ذوي الأعمار الفتية، وأقلية من الكتّاب الأكبر. ماذا في جعْبة هؤلاء؟ كتابة تستقي من الحياة المباشرة مفرداتها العامية، لا تعتريها عقدة النحوي، ما دامت المفردة غير موجودة فيه. تدخلها، وتدخل غيرها، وتكرّر. بما يضمن رسوخ المفردة، وشيوع معناها بين القرّاء، أبناء القطر العربي الواحد أو الأقطار المختلفة. ليس هذا وحسب. إنما في الجملة التي يصوغها أولئك الشباب أيضاً. وهي عصبية، ندية، قصيرة، بسيطة تجرّك إلى عالمها من دون متاهات. وهي مؤهلةٌ لجذب القارئ العربي الآخر، تماماً كما انتشرت اللهجة المصرية في عزّ إنتاجها الفني والأدبي، وصارت مفرداتها ولهجتها بمتناول العرب جميعاً. فئة الشباب هذه تأخذ عقدة النقص على عاتقها تتعهد بمقاومتها. تكتب ما تعيشه. تعيش ما تكتبه. تعامل اللغة بوصفها كائناً حيّاً، ذكياً، يومياً، لحظوياً، عفوياً. يحتاج الى سِقاية برشّات خفيفة، لا بالبراميل من المياه. هذه الفئة الثانية، على «محليتها»، تشكّل بين أعضائها «جماعة متخيَّلة» واحدة، ركنها الوحيد هو اللغة. تحتاج الوقت لتنمو. لتغرف لغتها من حياتها، تغذّيها بها، تحبها مثل أم وولدها. هي ربما غير واعية تماماً لدورها هذا. ولكن مصيرها أن تعيه. وساعتها سيكون زخمها أقوى، وفضائلها على العربية معترَف بها. وهي الآن لا تحتاج لسوى الوعي بانتمائها إلى هذه الجماعة المتخيَّلة. تشعر بدفئها لمجرد أن تكتب وتقرأ بالعربية.

(كاتبة لبنانية)

> أصبح من العادات غير المعلنة أن تتباهى بعدم معرفتك العربية جيداً. هذا وسامٌ تعلّقه على صدرك

وزير الأوقاف وسؤال الإسلاميات في المغرب

عبدالله هداري

داخل أسوار جامعة محمد الخامس في الرباط، قدّم الباحث والمؤرّخ ووزير الأوقاف المغربي، أحمد التوفيق، محاضرة مطولة عنوانها «الدراسات الإسلامية إلى أين؟». وهو موضوعٌ من الطبيعي أن يشتغل به وزيرٌ يُعنى بالشأن الديني، ويسهر على إدارة شؤونه. ولهذا، المتوقع أن تكون معالجته الموضوع مهمةً في بابها، مبنيةً على خبرة وبعد نظر، ومشحونةً بملاحظات وتوصيات عديدة موجّهة إلى مزيد من تجويد هذا التخصص، وفتحه على المجتمع والعالم.

وجد الوزير نفسه مدعوّا إلى أن يبين الدواعي الأولى لتأسيس السلفية الوطنية في مغرب ما بعد الاستقلال شعبة الدراسات الإسلامية في الجامعة، جوابا على تغوّل المد اليساري العالمي وامتداداته المغربية وانجراف النخبة المغربية بعيداً عن التدين المغربي وامتعاضها منه. والمقصد من تذكير التوفيق بهذا عدم نسيان أهداف تأسيس هذا المسلك الجامعي.

وعليه، الحديث عن الأصول التي انبنت عليها فلسفة الشعبة وسيلة من الوزير الباحث لتأكيد ضرورة المراجعة التي يلزم العلماء والباحثين داخل هذه الشعبة أن يقوموا بها، مراجعة تقوم على أسئلة، حصرها المحاضر في جوانب، أهمها العناية بالعلوم الإسلامية داخل المغرب وعلى طريقة المغاربة، ولذلك ذكّر بما كانت عليه المدارس الإسلامية العتيقة في مغرب قبل الحماية الفرنسية، وما كان يدرّس فيها، وخطتها في التدريس، ومسلك علماء المغرب فيها.

واسترسل محقّق كتاب «التشوّف إلى رجال التصوف» في عرض أسباب أخرى تدعو إلى مراجعة مناهج هذه الشعبة (وبيداغوجياتها) ومعارفها داخل الجامعات المغربية، كابتعادها بل وامتعاضها من الاشتغال بالمتن المغربي، والانفتاح، في المقابل، على ما قد يكون مثار فتنة ومنازعة وجلبة، فأورد نصوصاً موزّعة بين ابن رشد والغزالي وابن تيمية وغيرهم من القدامى. وليس من شيءٍ يودّ توكيده في ذلك، إلا النظر في كيفية خدمة الدين والعلوم الإسلامية للناس، مؤكّدا على مسألة الرفق بالأميين، والرحمة بهم، أي من خلال جعل المعارف الإسلامية مدخلا لخدمتهم في معاشهم، كما كان عليه سابق أمرها. ويُعُدّ ذلك مسلكاً إسلامياً أصيلاً، وجّه علماء الإسلام في عدم زجّ الناس، ممن ليست لهم دراية بالدين، ضمن مساجلاتٍ كلاميةٍ أو بلاغيةٍ قد تزيغ بهم عن الجادّة وتزيد من فرقتهم، بدل أن تقوم بالعكس.

ثم أردف بنصوص المعاصرين، مثل باروخ سبينوزا، من الفلاسفة، وكذلك مؤرّخ الأخلاق، ألسادير ماكنتاير، أو شيخ المؤرخين الأميركيين مارشال هودجسون، وغيرهم، بغرض نقاش مسألة انفتاح الشعبة على العالم، وقدرة المنخرطين في أسلاكها على نفع شعوبهم بما يتناسب وسقف الواقع المعاصر، وقدرة الطلبة على المدافعة والانخراط في التنمية المجتمعية الشاملة. ولذلك عدّ قراءة أعمال الأسماء السابقة واجبا على المنتسبين لهذه الشعبة. وفي ارتباط بذلك، أردف ملاحظاته بحديثٍ عن علاقة الطالب باللغات، والتي لا ينبغي أن ينزل في سلّمها عن الدراية بلغتين أجنبيتين، قراءةً وكتابةً، «بشكل جيد»، حسب عبارته.

أما حديثه عن مسلك الدراسات الإسلامية في الغرب، وخصوصا جامعة هارفارد، مثلاً، والتي كان له سابق تدريس فيها، فإنه يود التوكيد على وجه التقاطع والمباينة بينها وبين الدراسات الإسلامية في المغرب، تقاطع ينبني على أهمية المعارف وتدريس العلوم الإنسانية والأديان داخل هذه المسالك العلمية، ودورها في بناء شخص الباحث داخلها وتمكينه من الحضور والبروز داخل تخصّصات عدة. أما وجه التباين، والذي تأسّف له التوفيق كثيرا، فأن هذه الشعبة داخل الجامعة الغربية استطاعت أن تمنح طلبتها كفاية جيدة في قيامهم بدور الدعوة والتبليغ، إذ لا يرى انفصالا بين دراسة العلوم الإسلامية وحفظها استمرار حضور الدين بين الناس وخدمته مصالحهم، وخدمة علماء الإسلام شؤون المجتمع والإسهام في حلّ مشكلاته. ولعله يقصد بالدعوة هنا، حسب فهم كاتب هذه السطور سياق كلامه داخل المحاضرة، التوسّط في شرح الإسلام وتقريبه إلى الناس، وسد الطريق على توجهات إيديولوجية كثيرة، حسب عبارته المسببة للفتنة والإرهاب والتطرف.

وقصد جعل كلامه أكثر نجاعة، قدّم إحصائيات شملت عدد الأطروحات المناقشة في هذه الشعبة داخل جامعة محمد الخامس منذ تأسيسها (مائتي أطروحة)، وبناء على قيمة مواضيعها، أكد مجدّداً على ضرورة دمج تخصّصات عدة داخل حقل الدراسات الإسلامية، وداخل محفظة طالب هذه الشعبة، كالفلسفة، والتاريخ، والسوسيولوجيا.. إلخ. ولا يخفى أنّ العناية بالتاريخ دفعت الوزير إلى اقتراح دراسة «البيعة» داخل مواد هذه الشعبة، باباً تاريخياً ومستقبلياً في الآن نفسه، لما له من القدرة، حسب التوفيق في جعل الباحثين والطلبة، أي علماء المستقبل، يعون علاقتهم بالامتدادين، الحضاري والديني، للبلد الذي ينتمون إليه، والمسلك العقدي الذي ارتضاه المغاربة «تقليداً» يحبل بعديد من التضمينات والمعارف والاختيارات التي لا بدّ من الوقوف عند مقاصدها الكلية.

وعلى العموم، تحمل المحاضرة في طياتها رسائل إلى المشتغلين بهذا التخصص في المغرب، كما تنبئ عن رياح مقبلة ستغير وجه الشعبة وتزحزح صورتها، غير أنّ المهتم قد تشكل عليه، في نظرنا، مسألتان، فهو وإن ثمّن دمج العلوم داخل هذه الشعبة وثمّن فتحها على العالم والتخصصات الأخرى، مما لا ينكر قيمته اليوم إلّا جامد يعيش عصراً غير الذي نحن فيه، فإنّ الحديث عن «التبليغ» للإسلام وتعاليمه، والاندماج داخل المجتمع، سيعيدنا إلى مسألة تداخل الدعوي والمعرفي، والكلّ يعي، والوزير كذلك، أهمية الاستقلال الأكاديمي للجامعة، وتجرّدها في طلب المعارف وبناء العلوم. وثاني المسائل، تدريس «البيعة»، التي تقتضي من التوفيق أن يوضح علاقتها بدراسة أشكال الحكم والسياسات الشرعية والدولة وعلاقة الدين بالسياسة وغيرها، ليكون سياق تدريسها معرفياً، بعيداً عن تخوّفات تأميم الشعبة وجعلها لسان حال جهة معينة.

(كاتب مغربي)

> الحديث عن «التبليغ» للإسلام وتعاليمه، والاندماج داخل المجتمع، سيعيدنا إلى مسألة تداخل الدعوي والمعرفي

عندما تذهب تركيا وأرمينيا إلى طي صفحة الماضي

باسل الحاج جاسم

تتجه الأنظار نحو نتائج أولى جلسات الحوار بين مبعوثي تركيا وأرمينيا للتطبيع في موسكو قريباً، لمعرفة حجم الهوّة بين مواقفهما، وحقيقة رغبة البلدين بتخطّي خلافات الماضي الثقيل وإرثه، وكذلك حجم التدخل الخارجي في المحادثات، سواء من موسكو أو طهران أو الاتحاد الأوروبي وكذلك من واشنطن. ويمكن القول إن فرص التوصل إلى اتفاق بين أنقرة ويريفان أكبر من أي وقت مضى، ولا سيما بعد انتهاء الاحتلال الأرميني لأراض أذربيجانية، وهو من أسباب قطع تركيا علاقاتها مع أرمينيا عام 1993، وأغلقت حدودها البرية معها، دعماً لأذربيجان التي لم تعد معترضة اليوم على بوادر التقارب كما كانت في عام 2009، وأعلنت أنها تدعم تطبيع تركيا «الشقيقة» علاقاتها مع أرمينيا. وصرح وزير خارجيتها جيحون بايراموف بأن تطبيع تركيا مع أرمينيا سيخدم المصالح المشتركة بين أنقرة وباكو أيضاً.

تغيرت حسابات الدول الثلاث (تركيا، أذربيجان، أرمينيا)، بعد حرب العام الماضي بين أرمينيا وأذربيجان، فقد غيرت تلك الحرب التي استمرت 44 يوما قواعد اللعبة. وبموجب اتفاق وقف إطلاق النار، سلّمت أرمينيا الأراضي المحتلة إلى أذربيجان، ما يعني انتفاء مُبرِّر أنقرة الأصلي لقطع العلاقات. ومؤكّد إذا ما طبّعت تركيا وأرمينيا علاقاتهما، فسيكون هناك مزيد من الفرص للسلام في كاراباخ بين أذربيجان وأرمينيا أيضا.

ومع أن إمكانية إعادة العلاقات، هذه المرّة، كبيرة مقارنة بمحاولات سابقة، إلا أن التساؤلات تطرح حول إمكانية أن تلعب روسيا أو أميركا أو فرنسا دورا لإفساد الأمر، فالدول الثلاث تترأس مجموعة مينسك لتسوية النزاع بين باكو ويريفان، من دون تحقيق أي تقدم خلال 28 عاما من عمر الأزمة، وتحتضن أكبر اللوبيات الأرمينية وأقواها في الشتات.

استطاعت روسيا بالتنسيق مع تركيا إيقاف حرب كاراباخ الثانية، بعد وساطتها في إنجاز اتفاق ينظر إليه اليوم على أنه تاريخي بين أرمينيا وأذربيجان، وبعد استكمال تنفيذ كامل بنود الاتفاق، التي من بينها «تبادل للأراضي» أو للممرّات البرية، ستسيطر موسكو على حركة النقل بين أرمينيا وجزء من جيب كاراباخ عبر أراضي أذربيجان، وبين أذربيجان وجيب إقليم ناخشيفان الأذربيجاني عبر الأراضي الأرمينية، إلا أن هذا الشق من الاتفاق تحديداً يبقى غير كامل، مع استمرار إغلاق الحدود البرية بين أرمينيا وتركيا. ونجد موسكو اليوم قادرةً على إحياء الاتفاقات الدبلوماسية التي تم التفاوض عليها بين تركيا وأرمينيا في عام 2009، لا سيما فتح الحدود البرّية بين البلدين الجارين، فمع تنفيذ عديد من بنود الاتفاق الذي رعته روسيا بين باكو ويريفان، وسيطرتها على طرق ناخشيفان ولاتشين الاستراتيجية، فإن أحد العوائق الرئيسية أمام تنفيذ البروتوكولات التي سبق وتم التوقيع عليها بين أنقرة ويريفان قد أزيل.

يمكن الحديث عن إضاعة الغرب، وواشنطن على وجه الخصوص، فرصة وصول حكومة حليفة له إلى السلطة قبل ثلاثة أعوام في يريفان، لفتح صفحة جديدة من العلاقات بين حلفائه، باكو ويريفان وأنقرة، وتحقيق عدة أهداف استراتيجية، منها تعزيز نقاط الضغط على طهران عبر بوابتي باكو ويريفان، وأيضاً إضعاف حلقة النفوذ الروسي في جنوب القوقاز، بإبعاد دولة أخرى عن الدوران في فلك موسكو.

وقد بحث مستشار الأمن القومي الأميركي السابق جون بولتون، قبل أكثر من عامين، في أثناء زيارته أرمينيا، مواجهة طهران، وفي دردشة خاصة مع دبلوماسي أرميني رفيع، قال فيها لكاتب هذه السطور إن إيران منفذنا البرّي الوحيد، كيف يمكننا أن نسير في خطط واشنطن ومشاريعها في ظل إغلاق الحدود التركية والأذربيجانية في وجهنا، مع استمرار التأزم في العلاقات بين روسيا وجورجيا. بكلام آخر، لا يمكن الابتعاد عن طهران من دون تحسن العلاقة مع تركيا التي ستقود إلى فتح الحدود البرية.

حالت دون تحقيق واشنطن والعواصم الغربية أهدافها ورغباتها في القوقاز عوامل عديدة، حيث يأتي ميل واشنطن نحو أرمينيا إلى حد كبير من خلال الرغبة في الضغط على تركيا، ولا يتعلق الأمر بالعلاقات الأرمينية - التركية، بقدر ما يتعلق بالخلافات الأميركية - التركية التي تفاقمت بعد عام 2013 خلال الحروب السورية، من خلال دعم إدارة الرئيس السابق باراك أوباما الامتداد السوري لحزب العمال الكردستاني (مصنف على قوائم الإرهاب في حلف الناتو ودول إقليمية)، وتهديد من خلال ذلك مصالح دولة عضو في الحلف الأطلسي، ويُنظر، في الوقت نفسه، إلى تعاون أرمينيا مع روسيا وإيران تحدّيا خطيرا لموقف الولايات المتحدة في القوقاز.

يصعب أيضاً النظر إلى التحرّك الدبلوماسي الفرنسي حيال نزاع القوقاز فحسب، من خلال تأثير اللوبي الأرميني في فرنسا، حيث نلاحظ ماكرون معارضاً لأنقرة في البحر المتوسط، وكذلك الموقف الفرنسي من الخلافات التركية – اليونانية، وقضية قبرص المعقدة، والمواجهة في ليبيا، ودعم باريس ما يُنعت إرهابا انفصاليا في سورية، الذي يهدّد وحدة أراضيها، ولاحقا سيهدد تركيا ودولا أخرى، بما فيها روسيا، في القوقاز الجنوبي والشمالي.

(كاتب عربي في أستانة)

> من بين أمور كثيرة كشفتها حرب كاراباخ الثانية أن مصالح أرمينيا مع موسكو وأنقرة، وليست في واشنطن وباريس

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري**
■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية 33 west end
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads